مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كورنثوس ٤: ٦–١٥)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ الذي أمَرَ أن يُشرِقَ من ظلمةٍ نورٌ هو الذي أشرَقَ في قلوبِنا لإنارةِ معرفةِ مجدِ اللهِ في وجهِ يسوعَ المسيح* ولنا هذا الكنزُ في آنيَةٍ خَزَفيَّةٍ ليكونَ فضلُ القوَّةِ لله لا منَّا* مُتضايقينَ في كُلِّ شيءٍ ولكن غيرَ مُنحصرين. ومُتحيِّرينَ ولكن غيرَ آئسين* ومُضطهَدين ولكن غيرَ مخذولين. ومطروحين ولكن غيرَ هالكين* حامِلينَ في الجسدِ كلَّ حينٍ إماتةَ الربِّ يسوعَ لتظهَرَ حياةُ يسوعَ أيضاً في أجسادِنا* لأنَّا نحن الأحياءَ نُسلَّمُ دائماً إلى الموتِ من أجلِ يسوعَ لتظهَرَ حياةُ المسيحِ أيضاً في أجسادِنا المائتَة* فالموتُ إذاً يُجرى فينا والحياةُ فيكم* فإذ فينا روحُ الإيمانِ بعينه على حَسَبِ ما كُتِبَ إنّي آمنتُ

الكنز في آنية خزفية

الفصل الذي نقرأه اليوم من رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس (٤: ٦–١٥) يشرح ما يختبره المؤمن من تناقض بين عظمة النعمة التي نالها من الله وضعف طبيعتنا المخلوقة التي تحمل هذه النعمة. إن الكنز الموضوع في صندوق أو في أية حاوية أخرى هو بالطبع أسمى من الصندوق والحاوية، لا بل يأخذ الصندوق قيمته مما يحتويه. إن صندوق النفايات يتّسخ من الحثالة التي يحويها، في المقابل علبة المجوهرات بلمعانها ونظافتها تدلّ على محتوياتها القيّمة لأن الإناء ينضح بما فيه.

«لنا هذا الكنز في آنيةٍ خزفية»، ما هو الكنز الذي نملكه والوارد ذكره في الآية السابعة، وما هي هذه الآنية الخزفية؟ في توضيحه لماهيّة هذا الكنز يعود الرسول بولس إلى خلق العالم ليوضح «ان الله الذي أشرق النور من الظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا». من المعلوم أن الظلمة لا كيان لها إنما هي انتفاء النور، وكأني بالرسول يقول أننا بدون الله الذي ينيرنا ينتفي وجودنا ونعود إلى العدم.

ترد قصة خلق الإنسان في سفر التكوين على الشكل التالي: «وجَبَلَ الربُّ الإلهُ آدمَ تُراباً من الأرض، ونفَخَ في أنفِهِ نَسمةَ حياةٍ، فصار آدمُ نفساً حيَّةً» (تك ٢: ٧). يتضّح لنا من هذه الآية أن حياة الإنسان هي من نفخة الله الذي خلقه على صورته ودعاه للتشبّه به. صورة الله فينا هي الكنز الذي حصلنا عليه مجاناً والذي دُعينا للحفاظ عليه وللوصول من خلاله إلى كمال الدعوة أي إلى التشبّه بالله والاتحاد به. يبقى أن هذا الكنز وضعه الله في آنية من فخّار يسهل انكسارها لأنها مصنوعة من التراب. أراد الله بذلك أن يُظهر للإنسان أن نعمة الله هي وحدها تحفظه إن هو حافظ عليها، تاركاً له حرية قبول هذا الكنز أو رفضه. لكن الإنسان باتكاله على ذاته وبانصياعه للشيطان شوّه الصورة الإلهية التي فيه وهكذا تضرر إناؤه كثيراً وصار الموت نتيجةً حتميّة لانفصاله عن الله.

مع المسيح استعادت صورة الله في الإنسان نقاءها وأوصلها الرب إلى غايتها القصوى وهي إتحاد

العدد ٣٦/ ٢٠١٠

الأحد ٥ أيلول

تذكار القديس زخريا النبي أبي السابق الكريم

اللحن السادس

إنجيل السَحَر الرابع

ولذلك تكلَّمتُ فنحن أيضاً نـؤمِـنُ ولـذلك نـتـكـلَّـمُ* عالِمينَ أنَّ الذي أقام الربَّ يسوعَ سيُقيمُنا نحن أيضاً بيسوعَ فننتصِبُ معكم* لأنَّ كلَّ شيءٍ هو من أجلِكم لكي تتكاثرَ النعمةُ بشُكرِ الأكثرينَ فتزدادُ لمجدِ الله.

الإنجيل

(متى ٢٢: ٣٥-٤٦)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوع ناموسيٌّ مجرِّباً له وقائلاً يا معلّمُ أيَّةُ وصيَّةٍ هي العظمى في الناموس* قال له يسوع أحبِبِ الربَّ إلهَك بكلِّ قلبِك وبكلِّ نفسِك وبكلِّ ذهنِك* هذه هي الوصيَّةُ الأولى والعظمى* والثانيةُ وهي مثلَها أحبِبْ قريبَك كنفسِك بهاتين الوصيَّتينِ يتعلَّق الناموسُ كلُّهُ والأنبياءُ* وفيما الفريسيون مجتمعون سألهم يسوع قائلاً ماذا تظنُّون في المسيح ابنُ مَن هو. قالوا له ابنُ داود* فقال لهم فكيف يدعوهُ داود بالروح ربَّهُ حيث يقول: قال الربُّ لربّي إجلِسْ عن يميني حتى أجعلَ أعداءَك موطِئاً لقَدَميك* فإن كان داود يَدعوهُ ربًّا فكيف يكون هو ابنَهُ* فلم يستطِع أحدٌ أن يُجيبَهُ بكلمةٍ. ومن ذلك

الإنسان بالله. ان المسيح الذي هو ابن الله وله نفس طبيعته الإلهية أخذ طبيعتنا البشرية بتمامها ما عدا الخطيئة وجعلها تمتلئ من المجد الإلهي وهذا ما ظهر في حادثة التجلي. لقد منح الرب يسوع لكلّ مَن يؤمن به ويلبسه بالمعمودية أن يمتلك من جديد صورة الله نقيّة، لا بل أظهر لنا ما لم يختبره آدم الأول في الفردوس وهو كيف نصل بهذه الصورة إلى الإتحاد بالله. هذا ما اختبره ويختبره القديسون الذين يعرفون كيف يمتلئون من نِعَم الله ويدخلون في شركة معه منذ الآن. لكن لماذا تبقى آنيتنا ضعيفة؟ يجيب بولس الرسول قائلاً: «ليكون فضلُ القوَّةِ لله لا منَّا» (٢ كور ٤: ٧). لو كان الإنسان قويًّا من ذاته ولا يواجهه خطر السقوط أو الموت لأصبح هو مصدر نِعَمه ولكان سقط في الكبرياء المميت، غير أن الله بحكمته التي لا تُحد يريد أن يحفظ الإنسان في التواضع وعدم الغرور والاتكال على الله. كما وأن قوة الله تظهر عندما ترى آنية من فخّار معرّضة للكسر وللموت تستطيع أن تحمل هذا الكنز الكبير، تستطيع رغم الصعوبات والمخاطر أن تنقل نور المسيح إلى العالم. في ذلك يظهر مدى اتكال الإنسان على الله ومدى قوة الله في صنع العجائب.

إن ضعف الإنسان وإمكانية السقوط في كل لحظة، بالإضافة إلى الشدائد التي يتعرّض لها بسماح من الله، كل هذه الأمور لا تدفع المؤمن إلى اليأس بل إلى الجهاد. في كل مرة يضعف فيها المؤمن ويتلمّس قوة الله التي تعينه، يتذكر قول الرب للرسول بولس: «تكفيك نعمتي، لأنَّ قوَّتي في الضَّعفِ تُكمَلُ» (٢ كور ١٢: ٩). لقد اختار الرب ضعفاء العالم ليكونوا له رسلاً ومن خلالهم اجتذب كل المسكونة. حتى المسيح نفسه ظهر ضعيفاً أمام الناس كما تنبأ عنه أشعياء: «لكنَّ أحزانَنا حملها، وأوجاعَنا تحمَّلها، ونحن حسِبناهُ مُصاباً مضروباً من الله ومذلولاً، وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامِنا» (اش ٥٣: ٤-٥). إن المسيح تمجّد على الصليب حيث قمّة الضعف ولذلك نحن المسيحيين نفتخر بالصليب، نحتمل الأخطار والمشقات والآلام والموت «لتظهرَ حياةُ المسيحِ أيضاً في أجسادِنا المائِتَة» (٢ كور ٤: ١٠)، هكذا غلب القديسون الموت بإيمانهم.

في ختام رسالة اليوم يوضح الرسول بولس ان الله يفعل كل شيء من أجل الجميع. لقد منحنا نفسه كنزاً لا يفرغ وأنعم علينا بقوّته سنداً في ضعفنا ليجتذب الكل إليه ولكي لا يبقى أي إنسان بعيداً عن الخلاص.

ميلاد والدة الإله

تعيِّد الكنيسة المقدسة في الثامن من أيلول لميلاد العذراء مريم، والدة الإله، وهو أول الأعياد السيدية في السنة الطقسية التي تبتدئ في الأول من أيلول. مع ميلاد العذراء ابتدأ تحقيق خلاص البشر، لذا نرتل في عيدها: «ان يواكيم وحنّة من عار العقر أُطلقا، وآدم وحواء من فساد الموت بمولدك المقدس يا طاهرة أُعتقا، فله أيضاً يُعيّد شعبك إذ قد تخلّص من وصمة الزلّات صارخاً نحوك: العاقر تلد والدة الإله المغذية حياتنا» (قنداق العيد).

إكرام الكنيسة، عبر التاريخ،

اليوم لم يجسُرْ أحدٌ أن يسألَهُ البتَّة.

تأمل

لقد أكّد الرب أنّ الناموس كلّه وتعليم الأنبياء يُختصران بالمحبة (متى ٢٢: ٤٠)، أنظر كم وضعها عالياً: حدّد وصيتين للمحبة وأهميّة كلّ واحدة منهما. الأولى هي أن تحبّ الرب إلهك، والثانية على القدر نفسه من الأهمية وهي أن تحبّ قريبك كنفسك (متى٢٢:٣٧-٣٩). أيّ أمر يمكن أن يوازي محبة المسيح للبشر وصلاحه! إنها محبتنا له، مع أننا أدنى منه بما لا يُقاس، وتوازيها المحبة لقريبنا. لذلك تتوحّد تقريباً حدود وصيتَيْ المحبة هذه. في الأولى قال أن تحب الله: «من كل قلبك ومن كل نفسك» (متى ٢٢: ٣٧)، وفي الثانية قال أن تحب القريب «كنفسك» (متى ٢٢: ٣٩). بديهي أنه من دون الثانية فإنّ الأولى لا تفيد أبداً. فضلاً عن ذلك، كما يقول يوحنا الإنجيلي: «إن قال أحد إني أحبّ الله وأبغض أخاه فهو كاذب. مَن يحب الله يحبّ أخاه أيضاً» (١ يو ٤: ٢٠-٢١).

كلّ عمل جيد هو ثمرة المحبة، لذلكَ ذكرها الرب مراتٍ كثيرة: «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن

لوالدة الإله كان ينبع دائماً من طاعة مريم لله، من خيارها الطوعي الحر بالإستجابة لدعوة قد تبدو مستحيلة على البشر: «هوذا أنا أمة للرب» (لو ١:٣٨). ولطالما شدَّدت الكنيسة الأرثوذكسية على علاقة مريم بالبشرية، معتبرة إياها أفضل وأنقى ثمرة للتاريخ البشري ولبحث الإنسان عن الله، ولمعنى الحياة البشرية وفحواها.

لا يغيب موضوع بتولية العذراء الدائمة عن فحوى عبادة الكنيسة، إلا ان موضوع أمومتها، علاقة اللحم والدم التي تربطها بالرب يسوع، لا تفارق أبداً فحوى هذه العبادة. لذا فإن اللاهوت الشرقي يبرز الدور البشري، والمقصود هنا دور العذراء مريم، في مخطط الله الخلاصي. ابن الله ينزل إلى الأرض، يتجسَّد ليخلّص العالم وليُدخل الإنسان في دعوته الإلهية، لكن الإنسانية تشترك، عبر مريم، في تحقيق هذا المخطط.

إذا وعينا ان مشاركة المسيح لطبيعتنا البشرية هي فرح المسيحية الأكبر وعمقها، وان المسيح هو إنسان حقيقي وليس خيالاً لا جسد حقيقياً له، وانه واحد منا ومتحد معنا عبر بشريته، عندها يصبح الإبتهال للعذراء مفهوماً لأنها هي التي أعطته طبيعته البشريَّة، لحمه ودمه. عبرها صار المسيح قادراً على دعوة نفسه «ابن الإنسان»، إضافة إلى كونه «ابن الله». الله تنازل وصار إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً، ويصبح مشاركاً للطبيعة الإلهية (٢ بط ١: ٤)، أو بحسب تعاليم آباء الكنيسة «لكي يتأله»، لكي يعود إلى طبيعته البشرية الفردوسية الأصيلة التي كان يفترض أن يكونها لو بقي محافظاً على شركته مع الله بعد الخلق. هنا تحديداً، في هذا المفهوم الأصيل لدعوة البشرية أن تكون مشاركة للطبيعة الإلهية، يكمن توقير الكنيسة لمريم كونها رابطنا مع المسيح ومن خلاله مع الله. وهذا لا يتجلى إلا في عيد ميلاد والدة الإله، رغم انه لا يوجد شيء، من وجهة نظر البشر، فريدٌ في ولادة مريم العادية مثلها مثل باقي البشر.

لا يذكر الكتاب المقدَّس شيئاً عن ميلاد العذراء، ذلك لأنه لا يوجد شيء غير اعتيادي في هذه الولادة الطبيعية. لذا فإن الكنيسة عندما تحتفل بميلاد السيدة لا تحتفل بالحَدَث بحد ذاته كونه حدثاً يشبه كل ولادة عادية. لكن تحتفل بالعيد لما يعنيه هذا المولد بالنسبة للحياة البشرية ولخلاص البشر.

إذا نظرنا إلى أيقونة العيد بأعيننا الروحية لا بد أن نلاحظ أشياء كثيرة وراء الصورة المرسومة. نرى القديسة حنّة ممدَّدة على سرير الولادة وإلى جانبها والد الطفلة القديس يواكيم وبقربهما عدَّة نساء يغسلنَ الطفلة المولودة حديثاً. إلا أن الأعين الروحية والكنيسة ترى الطفلة من خلال هذه الأيقونة ان كل ولادة جديدة ومجيء طفل جديد إلى الحياة هما عجيبة العجائب، إذ ان العالم يتجدَّد بكل ولادة على الرجاء أن يلبس المولود الجديد الطبيعة البشريَّة الحقيقية التي للمسيح، والتي نالها عبر مريم، فيحيا حقاً بحسب أصول هذه الطبيعة ويصير متألّهاً في النهاية.

في هذا العيد إذاً، نحتفل بولادة كل إنسان آتٍ إلى العالم بشكل عام، فلا نعود نذكر عذاب الولادة إذ هناك فرح كبير، كما يقول الإنجيل: «لأنه قد ولد إنسان في العالم» (يو

كان لكم حبٌّ بعضكم لبعض» (يو ١٣: ٣٥). كما نغذّي أجسادنا طوال حياتنا، هكذا يجب أن نحبّ أقرباءنا بغيرة أكبر من غيرة تغذية الجسد لأنّ المحبة تقود إلى الحياة الأبدية ولا تختفي أبداً.

لا نتعلّم الحاجة إلى المحبّة من أقوال الله فقط بل من أعماله أيضاً. درس كهذا نتعلّمه من طريقة خلقنا، إذ عندما خَلَق الله الإنسان الأول حدّد أن يأتي منه كلّ الآخرين لكي نُعتبر كلّنا كإنسانٍ واحد ونرتبط بالمحبة. إرتباط الناس كلّهم بالمحبة فُرض بحكمة عن طريق المعاملات التي نحتاج إلى أن تكون بيننا، لأنه أعطى العالم خيرات كثيرة لكن ليست كلّها في كلّ مكان، بل ثمة لكلّ بلد أنواع محدّدة، وهكذا نكون مُجبرين على الأخذ والعطاء، فنعطي ما يزيد عندنا ونأخذ ما نحتاج إليه، إضافةً إلى حبّ أقربائنا.

الأمر نفسه عمله الله لكلّ إنسانٍ على حدة. لم يسمح لكلّ واحد أن يملك المعارف كلّها، بل أن تكون للواحد معارف طبية، وللآخر معارف البناء، وللآخر أيّ علم أو فنٍّ آخر، إلخ... لكي يكون واحدنا بحاجة للآخر وهكذا يحبّ أحدنا الآخر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

١٦: ٢١). كل هذا من خلال الإحتفال بميلاد مريم العذراء. ذلك لأن كل ولادة جديدة هي مشروع قديس جديد. في هذا العيد نحتفل أيضاً بكل الذين سبقوا ولادة مريم وهيأوا الطريق لولادتها، الذين ساهموا في إرثها الجمالي والنِعَم الروحية الحالّة عليها وأعدّوها لتقبّل هذه النِعَم. لقد كانت الخليقة بحاجة إلى أجيال، رجالاً ونساءً، من ذوي الإيمان والصلاح ممن عاشوا بحسب تعاليم القدوس، كي يهيئوا الطريق لتلك الزهرة الجميلة الزكية العَرْف، لولادة والدة الإله.

في هذا اليوم نحتفل بميلاد الفائقة القداسة مريم التي بواسطتها عانق المسيح العالم. عبرها أخذ المسيح طبيعتنا البشريَّة وابتدأ تحقيق الخلاص. لذا لا بد لنا في يوم ميلادها أن نجد أنفسنا منذ الآن على طريق بيت لحم متجهين للإحتفال بالسر الأعظم، سر تجسّد ابن الله، يوم تصير مريم والدة الإله، ونحن أخوة ليسوع وأبناء لله.

نصائح وإرشادات

ماذا يجب أن يفعل المسيحيّ لكي يرث الحياة الأبدية؟

+ أن يحبّ الله بكلّ نفسه ويحفظ وصاياه، كذلك أن يحبّ قريبه كنفسه، لأنّ الربّ قال: «إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبّتي» (يو ١٥:١٠)، و«بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حبٌّ بعضٌ لبعض» (يو ١٣: ٣٥).

+ أن يتواضع أمام الله وألاّ يحتقر قريبه أبداً، لأنّ «القلب الخاشع المتواضع لا يرذله الله» (مز ٥٠: ١٩)، وأن ينوح على خطاياه، ويتألّم بمرارة على خطايا قريبه، ويفرح عندما يكون قريبه سعيداً، ولا يحسده على سعادته، ويقبل بصبر كلّ الذين يعارضونه وينصحهم بالخير، ويهدف دائماً إلى إتمام الأعمال العادلة والبارّة التي تساهم في حفظ طهارة النفس.

+ أن يشعر بالشفقة على البؤساء، ويعمل بكلّ قواه من أجل السلام كما يريده الرب، لأنه بهذا سيُدعى ابن الله (متى ٥:٩)، وألاّ يخاف عندما يُشتم ويُتّهم ويهاجَم وأيضاً عندما يموت من أجل برّ الله والإعتراف بالإيمان بالمسيح.

+ أن يحارب كلّ تعليم هرطوقي ويقبل إيمان كنيستنا المقدّسة بالله ذي الثلاثة أقانيم.

+ أن يحبّ الحقيقة أولاً وألاّ يلوّث لسانه أبداً بالكذب، وألاّ يفعل السوء بقريبه أبداً.

+ ألاّ يتّهم وألاّ يسخر وألاّ يفعل شيئاً مِمّا يمنعه ناموس الله.

+ أن يتصدّق ولو من عوزه من دون أن يطلب مساعدةً من الآخرين لهذا العمل الصالح.

+ أن يعمل أعمالاً صالحة بغيرة لكن من دون أن يفتخر بها كالفرّيسي.

+ أن يسبّح الله ويصلّي إليه بانسحاق.

ميلاد السيدة

بمناسبة عيد ميلاد سيدتنا والدة الإله الفائقة القداسة مريم يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس صلاة الغروب عند السادسة من مساء الثلاثاء ٧ أيلول وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأربعاء ٨ أيلول في كنيسة دير دخول السيدة في الأشرفية.